القصاب الكرجي

وكتابه "نكت القرآن"

بقلم

دكتور

داود آيدون

أستاذ مساعد بجامعة سافريا كلية الإلهيات

آداپازاري — تركيا

(٦ — حولية كلية أصول الدين)

اسمه ونسبه وكنيته : هو محمد بن على بن محمد الكرجى أبو أحمد[١] .

نسبته : ونسبته إلى « الكرج » لعلها لأنها بلدته التى ولد بها ، وهى (مدينة ببلاد الجبل بين أصبهان وهمذان ، ابتدأ عمارتها عيسى بن إدريس ابن معقل العجلى ، وأتمها ابنه أبو دلف القاسم بن عيسى ، وقد خرج منها كثير من العلماء فى كل فن)[٢] .

وتنص المراجع على فتح رائها ، لكن المنجد للمعلوف سكنها وقال إنها مدينة محصنة فى شبه جزيرة القرم، شهيرة بآثارها اليونانية والرومانية أخذها الروس من الأتراك (١٧٧١)[٣] .

(وكانت قاعدة لدولة بنى دلف فى بلاد الأكراد)[٤] .

ألقابه: (لقب بالإمام ، الحافظ ، العالم ، المحدث ، الفقيه ، الغازى ، المجاهد ، القصاب) .

وأشهر ألقابه «القصاب» لأنه قتل كثيرا من الأعداء فى الجهاد)[٥] .

جاء فى لسان العرب : «وأخذ الرجل الرجل فقصبه، والتقصيب أن يشد يديه إلى عنقه ، ومنه سمى القصاب قصابا»[٦] .

---

(١) أنظر مثلا سير أعلام النبلاء للذهبى ٢١٣/١٦ وغيره .
(٢) أنظر اللباب فى تهذيب الأنساب للجزرى ٩٠/٣ وغيره .
(٣) أنظر ماسبق وغيره مثل طبقات الحفاظ للسيوطى ٣٧٩ والمنجد للمعلوف فى حرف الكاف .
(٤) أنظر أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس ٢٣٢
(٥) أنظر مثلا طبقات الحفاظ السابق .
(٦) لسان العرب — وأنظره — مادة قصب .

وهذا المعنى وهو القتل أو الذبح موجود فى معانى هذه المادة ، ففى اللسان أيضا أنه (القصاب الذى حرفته القصابة هو الجزار ، مأخوذ من قصبه أى قطعه ، أو لقب بذلك لأنه يأخذ الشاة بقصبتها أى بساقها)[1] ، وما ذلك إلا ليقطعها ، أو ليذبحها بعبارة أخرى .

علمه : كان القصاب عالما بارعا فى التفسير والحديث والفقه والكلام واللغة والنحو ، بل كان مستكملا لأدوات الاجتهاد من معرفة بالعلوم الشرعية والعربية ، مع عقل راجح ونظر ثاقب ، كما تدلنا عليه الصفحات التالية من هذا البحث ، وكما دلت عليه ألقابه السالفة ، وكما هو مقتضى الجو العلمى المحيط به من شيوخ وتلاميذ ، على ما سنذكره .

ولقد كان فى الجدل وإفحام المخالفين آية ، فقد خاض المعارك الكلامية كما خاض الحروب ، وقتلاه فى النوعين كثير وكثير . وكل ذلك يتبين تباعا إن شاء الله تعالى .

شيوخه : تدلنا المراجع على أن من شيوخه (أباه محمد بن العباس الأخرم ، ومحمد بن إبراهيم الطيالسى ، وعبد الرحمن بن محمد بن سلم ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن وهب بن الدينورى)[2] ، وهذه تراجمهم التى تكسب القارىء تصورا عنه هو علميا :

أبوه على بن محمد الكرجى ، كان من أصحاب على بن حرب الطائى . ونظراً إلى أن المراجع المتاحه لى لم تسعدنا بأكثر من هذا عن أبيه ، وأنه تلقى عنه ، فإننا قد نستشعر حالة أبيه العلمية من حالة الطائى فنقدم ترجمته الآن :

(١) لسان العرب — وانظره — مادة قصب .
(٢) انظر المراجع السابقة .

على بن حرب الطائى أبو الحسن الموصلى أحد مشايخ الحديث . وثقه الدارقطنى ، قال الأزدى فى تاريخ الموصل : مات سنة خمس وستين ومائتين[1] .

محمد بن العباس الأخرم : (هو الفقيه الحافظ الأثرى . « وله وصية أكثرها على قواعد السلف يقول فيها : من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق فهو كافر » قال الذهبى : « فكأنه عنى باللفظ : الملفوظ ، لا التلفظ »)[2] توفى الأخرم سنة (٣٠١ هـ)[3] .

[وللقصاب ما لا أظنه يحتمل مثل هذا التأويل الذهبى ، قال تحت الآية ٧٥ سورة البقرة : «دليل على أن ألفاظ العباد بالقرآن غير مخلوقة ، لأنهم لا محالة كانوا يسمعون من غيره وقد أضافه إلى نفسه» وهذا غلو منه رضى الله عنه ، ونستغنى بذكره هنا عن إيراده فى باب عقيدته] .

محمد بن إبراهيم الطيالسى : (ت ٣١٣ هـ) المحدث الرازى الطيالسى ، نزيل قرميسين [بلد قرب الدينور][4] . قال فيه أبو أحمد الحاكم : ضعيف لو اقتصر على سماعه . وقال الدارقطنى : متروك الحديث . وقال أحمد بن عبيد : تكلموا فيه ، وكان فهما ، مسنا[5] .

عبد الرحمن بن محمد بن سلم (ت ٢٩١ هـ) توفى وهو من أبناء الثمانين

(١) انظر الخلاصة للخزرجى ٢/٢٤٤
(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١٤/١٤٤ — ١٤٥
(٣) انظر مراصد الاطلاع لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ٣/١٠٨١
(٤) انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٤٥٨

من تأليفه : (التفسير) ، و (المسند) . وكان من أوعية العلم ، وهو الوازى ثم الأصبهانى إمام جامع أصبهان[١] .

أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب بن الدينورى (ت ٣٠٨ هـ)[٢] ، وقال الذهبى : « هو عبد الله بن حمدان بن وهب ، وما عرفت له متناً يتهم به فأذكره ، أما فى تركيب الإسناد فلعله »[٣] ، وقال صاحب نيل السائرين إنه ألف فى التفسير ، وقال فى تفسير (الإله) « أن الخلق يألهون إليه يتضرعون إليه عند قضاء الحوائج والشدائد »[٤] .

ومن شيوخه : أحمد بن أبى عمران الهروى ، فقد قال السمعانى فى الأنساب[٥] : « محمد بن على الكرجى الفقيه يروى عن أحمد بن أبى عمران الهروى ، بمكة » .

وقال الذهبى عن هذا الشيخ : أحمد ... الصرام ، أبو الفضل ، المجاور ، شيخ الحرم ، كان من أوعية الحديث ، توفى سنة (٣٩٩ هـ)[٦] .

رحلته فى طلب العلم :

والظن بالقصاب أنه رحل إلى تلك البلاد المشار إليها فى تراجم

---

(١) انظر السابق ١٣/٥٣٠

(٢) انظر نيل السائرين فى طبقات المفسرين لمحمد طاهر ٦٧

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠١

(٤) نيل السائرين السابق .

(٥) ج ٥ ص ٤٦

(٦) انظر سير ... السابق ١٧/١١١ـ١١٢

شيوخه ، وهى مكة المكرمة ، والدينور[١] ، وأصبهان[٢] ، وقروميسين[٣] ، والموصل[٣] ، وغير مما لم نعرفه إذ سكتت المراجع عن ذلك .

تلاميذه : (منهم ابنه أبو الحسن على ، وابنه أبو الفرج حماد ، وأبو المنصور مظفر بن محمد بن حسين البرو جردى)[٤] . ولم أعثر على تراجمهم .

ومنهم سمنون بن حمزة البغدادى (توفى سنة ٢٩٨ هـ)[٥] فقد صحب القصاب[٦] ، وأخذ عنه[٧] . (وهو بصرى[٨] الأصل ، سكن ، ، ، ،

---

(١) مدينة من أعمال الجبل قرب قروميسين كثيرة الزروع والثمار ، انظر مراصد الاطلاع ٢/٥٨١ .

(٢) مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن ، وهى من نواحى الجبل. انظر السابق ٨٧١ .

(٣) المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام ، باب العراق ومفتاح خراسان ، وهى على طرف دجلة ، وصلت بين دجلة والفرات ، وبين الجزيرة والعراق وفى وسطها قبر جرجيس النبى عليه السلام ، وبينها وبين بغداد أربعة وسبعون فرسخا . انظر السابق جـ ٣ ص ١٣٣٣ — ١٣٣٤ . والفرسخ ٥٥٤٤ مترا كما فى (الخراج والنظم المالية) للويس .

(٤) انظر مثلا : سير أعلام النبلاء السابق وطبقات الحفاظ للسيوطى ٣٧٩ .

(٥،٦) انظر نفحات الأنس للجامى ٣٣٠ـ٣٣٥ .

(٧) انظر الكواكب للمناوى ١/٤٢٧ .

(٨) البصرة العظمى هى المشهورة بالعراق . انظر مراصد الاطلاع ١/٢٠١ .

بغداد[١]، ومات بنيسابور[٢])[٣]. (وهو إمام ورع عارف ناسك زاهد)[٤]..

(قيل له: إنا نذكر الله ولا نجد فى قلوبنا حلاوة، فقال: احمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بذكره)[٥]. وقال فيمن هم أهل للعيش معهم:

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم
تحن إلى التقوى وترتاح للذكر[٦]

وهذا القول منه مع صحبته للقصاب مما يجعلنا نقول إن القصاب حين

---

(١) «بغداد كانت أم الدنيا وسيدة البلاد... حتى جاء التتر إليها فخرب أكثرها، وقتلوا أهلها كلهم، فلم يبق منهم غير آحاد كانوا أنموذجا حسنا، وجاء أهل البلاد فسكنوها وباد أهلها، وهى الآن غير التى كانت، وأهلها غير من عهدناهم، والحكم لله تعالى تعالى» قاله صاحب مراصد الاطلاع ٢٠٩/١، والأمر لله تعالى فما أشبه الليلة بالبارحة فيما أصابها.

(٢) نيسابور مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخا [مراصد ... السابق ١٤١١/٣] لكن فى الكلام على مرو الشاهجان ذكر صاحب المراصد ص ١٢٦٢ أن بينها وبين نيسابور سبعين فرسخا، وإلى سرخس ثلاثين وأنها أشهر مدن خراسان.

(٣) انظر الكواكب الدرية ٤٢٧/١ — ٤٢٩.

(٤) انظر السابق ٤٢٧.

(٥) انظر السابق ص ٤٢٨.

(٦) انظر السابق ٤٢٩.

يرد على الصوفية — كما سيأتى — يرد المردود ولا يعنى بطلان التصوف، بل سيأتى أنه يؤيدهم فى صوابهم، وإن هذه الصحبة وهذا القول مما نرتب عليه أن القصاب يأنس بهم ويأنسون به، فالصحبة ملازمة، وكل قرين بالمقارن يقتدى.

وفى ضوء هذا نجد سمنونا عالما، فقد أخذ عن عالم كبير وصحبه، كما نجده فى المراجع (صوفيا فريدا فى باب المحبة، يقول الشعر الرائق الرقيق الدقيق العميق)[١]، (ويجله جميع مشايخ وقته)[٢].

الرحلة إليه: نستنبط من تراجم تلاميذه أن هناك من رحل إليه من بروجرد، وبغداد، وللأسف لم تسعفنا المراجع المتاحة بغير هذا، ولعل شغله بالجهاد قد طال فكان سببا فى قلة ما عرفنا من ذلك، وقد كان جديرا بالإرتحال إليه، والتوسع فى سيرته، ولكن هكذا كان قدره، أو قدرنا حياله، ولا يضيره ذلك.

الثناء عليه: قال ابنه أبو الحسن هذين البيتين فيه:

وفى الكرج الغراء أوحد عصره
أبو أحمد القصاب غير مغالب
تصانيفه تبدى فنون علومه
فلست ترى علما له غير شارب[٣]

فهل لنا أن نفهم من هذا أنهما كان أيضا أديبين، وأن أبا الحسن تعلم العروض والأدب من أبيه؟، ولا نظن أبا الحسن لم يؤلف شعرا فى حياته

---

(١) انظر وراجع السابق ٤٢٧ — ٤٢٩

(٢) انظر كشف المحجوب للهجويرى ١٦٤ —

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٦، وتذكرة الحفاظ ٩٣٨/٣

غير هذين البيتين ، وفى غير الثناء على أبيه ، فالله أعلم بما طواه الزمان والمكان .

وفاته : توفى القصاب — رضى الله عنه — قرب سنة ستين وثلاثمائة[1]

عقيدته : قال القصاب فى كتاب السنة[2] ، « كل صفة وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله فليت صفة مجاز ، ولو كانت[3] صفة مجاز لتحتم تأويلها . وقيل : معنى البصر كذا ، ومعنى السمع كذا ، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام ، فلما كان مذهب السلف إقرارها بلا تأويل علم أنها غير محمولة على المجاز ، وإنما هى حق بين »[4] ، فهو على عقيدة السلف ، بلاشبهة وكتابه « نكت القرآن » ملىء بما يدله على هذا[5] .

فقهه واجتهاده : القصاب غير تابع لفقيه « ولا يستجيز ذلك لمن يقدر على المعرفة الفقهية ، ويدلنا على ذلك أمران ، الأمر الأول ما قاله من

---

(١) انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ٣٨٠

(٢) انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ٩٣٩/٣

(٣) هكذا (ولو كانت) عطفا على ما سبق فى سير أعلام النبلاء للذهبى ٢١٣/١٦ — ٢١٤ كأن الكلام كله للقصاب ، لكن فى تذكرة الحفاظ السابق يقول الذهبى : (قلت : ولو كانت ...) إلخ .

(٤) سير ... السابق .

(٥) انظره مثلا فى كلامه فى سورة البقرة عن الآية ٢٦ والرد على القدرية ، وعن الآية ٢٨ والرد على المتكلمين ، وعن الآية ٧٥ وأن القرآن غير مخلوق وكذا التوراة ، وعن الآية ١٠٩ فى التوفيق وأنه تفضل من الله تعالى وفى الخذلان — نعوذ بالله منه — وأنه ليس بظلم (وما ربك بظلام للعبيد) إلى آخر ما لا أحصيه .

أحكام لا توافق مذهب الظاهرية ، أو الحنفية ، أو المالكية ، أو الشافعيه ، أو الحنابلة ، والأمر الثانى نعيه على التقليد .

وفيما يلى بيان ذلك مما يثبت أنه مجتهد :

مذهب الظاهرية : بدأت به لما قد يظنه القارىء فى كتابه « نكت القرآن » لأول وهلة أنه ظاهرى ، مع أنه ليس كذلك ، إذ قال عن داود الأصفهانى مؤسس هذا المذهب : « وداود وإن كان عندنا غير مرضى ، لتخاليط بلغتنا عنه وصحت برواية الثقات عليه »[1] ، إلى آخر ما قاله عن الذين تعدوا على داود فى أشياء لا تلزمه ، فالقصاب يرد الإعتداد على داود فى أمور هو منها برىء وإن كان داود غير مرضى ، وأيضا يقول : القصاب بعدم فرضية الجماعة والصلاة[2] ، وبهذا لا يكون ظاهريا[3] ، ولا حنبليا[4] .

مذهب الحنفية : يقول الحنفية إن النجاسات تزال بالمائعات من غير الماء كما تزال بالماء[5] ، والقصاب يقول : « وقوله : (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به)[6] دليل على أن المويل للأنجاس هو الماء لا غير »[7] ، فليس حنفيا .

---

(١) قاله أثناء الكلام المتعلق بالآية الثانية من سورة المائدة .

(٢) انظر كلامه فى الآية ١٠٢ سورة النساء .

(٣) فإنهم يوجبونها كما فى بداية المجتهد ١٧٠/١

(٤) فإنهم كذلك يوجبونها كما فى السلسبيل فى معرفة الدليل ١٧٣/١

(٥) انظر بداية المجتهد ٩٨/١

(٦) سورة الأنفال الآية ١١

(٧) قاله فى كلامه عن الآية السابقة .

مذهب المالكية : الخمر نجسة عند المالكية[١] طاهرة عند القصاب[٢] فليس مالكيا .

مذهب الشافعية : يرى الشافعية أن مصارف الزكاة مشتركة فيها فلا يجوز صرفها لصنف واحداً[٣] ، بينما يرى القصاب جواز الإقتصار على صنف ، ويقول ومما يؤيد قولنا كذا وكذا ، ثم يقول : « ولا أعلم أحدا شدد فيها كتشديد الشافعي رضي الله عنه ، والشافعي ينهى عن تقليده وتقليد غيره »[٤] ، هذا مع أنه أيد الشافعي من جهة فقه الآية الثانية من سورة المائدة ، وبين الحديث الذي خرج الشافعي قوله منه ، وهو « في إباحته للمظلوم أن يأخذ من مال ظالمه مثل ظلامته ، علم به أو لم يعلم »[٥] وأقام حجة الشافعي في بعض ما عيب عليه ، وقال : « والشافعي رضي الله عنه عربي اللسان يتكلم على سعة لسان العرب »[٦] .

مذهب الحنابلة : سبق أنه ليس حنبليا في الكلام عن الظاهرية ووجوب الجماعة عندهم وعدم وجوبها عنده .

الأمر الثاني الذي يدلنا على أنه مجتهد ، وليس تابعا لاحد من أصحاب المذاهب المشهورة أنه أبى التقليد ، وذكر نفسه وغيره بقوله السابق (والشافعي ينهى تقليده وتقليد غيره) ، ونزيد في ذلك مما قرره القصاب

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي عند الآية ٩٠

(٢) أفاض في الكلام تحت عنوان (في ذكر بيان النجاسة) عن الآية ٢٨ سورة التوبة .

(٣) انظر كتب الشافعية عموما والأم للشافعي خصوصا ٢/٧١ ، ٧٤

(٤) قاله عن الآية ٦٠ سورة التوبة .

(٥) هذا وما قبله في كلامه عن الآية ٢ سورة المائدة .

(٦) كلامه — وانظره — عن الآية ٦٠ سورة المائدة .

أنه عقد فصلا في تفسير الآية ١١٤ سورة الأنعام في منع التقليد في الأصول وبداية كلامه شعر بالمنع في الفروع أيضا ، وعقد فصلا ممتعا — وإن لم يسمه في هذه المرة فصلا — عن الآية ٣٣ الأعراف ، ومما ذكره فيه : « فمن دان الله من المميزين بشيء لا يستطيع أن يتلو فيه قرآنا ، ولا يروى فيه عن رسول الله ﷺ خبرا صحيحا ، ولا اجتمع له عليه أهل ملته — إذ كلاهما مع القرآن مقبول بالقرآن — لم يسلم . . . » ، ثم عذر المضطر إلى التقليد ، ومع ذلك حمله المسئولية كاملة عن الاختيار الصحيح لمن يتوجه إليه بالاستفتاء ، فقال : « والمقلد غير مجتهد « ولا بد للأعمى من اتباع البصير ، فإن كان ممن يضبط السماع ويعرف مراتب الرجال ولا يميز نفس المحكوم فيه قلد الأقرب فالأقرب من العلماء من رسول الله ﷺ لم يقلد أهل زمانه ، إذ هم[١] على مقدار ما يشهد له نظره أجدر بالإصابة وآمن ممن بعدهم ، وإن كان يعرف مراتب الرجال ولم يضبط السماع قلد من أهل زمانه أشهدهم وأشهرهم وأرفعهم ذكرا بالعلم والإشارة إليه في بلده وغير بلده ، ولم يسعه قبول الفتوى من كل من أسرع إليها ولا ممن عرفه بالصلاح إذا لم يكن له شهرة في العلم مقصودا إليه فيه ، ولن يعدم مثل هذا في كل عصر إن شاء الله »[٢] .

كتابه « نكت القرآن » : إذا عرفنا محتويات هذا الكتاب إجمالا ، وعرفنا معنى « نكته » ظهر لنا سر تسميته بهذا الاسم ، ومحتوياته عبارة عن استنباطات مسايرة للآيات من أول القرآن إلى آخره ، وإن كان لم يتعرض لكل آية آية .

وغالبا ما يضع عناوين للمسائل التي يذكرها . وكتابه يدور حول ردود

(١) الضمير راجع إلى (العلماء) لا إلى (أهل زمانه)

(٢) قاله في كلامه عن الآية ٣٣ سورة الأعراف

على الفرق المختلفة وتقريرات لمذهب أهل السنة فى العقائد وأحكام فقهية وأصولية، يطبق قواعد الأصول ويجتهد فى بيان الفقه الذى يراه، يضاف إلى ذلك ما يدقق فيه من مسائل الغريب ووجوه الكلمات سبب النزول والنسخ، والنحو، والبلاغة، وقد يتعرض للقراءات، إلى غير ذلك مما حققه ودققه، وهو فى ذلك يضم الآية إلى الآية، ويروى الأحاديث بإسناده، ويذكر أقوال الصحابة والتابعين، ويجعل من القرآن شاهد الصحة قول أو مذهب أو لغة أو شعر — لا يعكس فيجعل الشعر مثلا شاهدا للقرآن — ولا يغفل فى ذلك انتقاد بعض المتون، وبعض الرجال، وبعض الأقوال المخالفة للغه. إلخ.

وكثيرا ما يستخدم الأساليب الجدلية ويسمى مصطلحات علم الجدل كالنقض والكسر، فيفحم الخصوم، ويرد خطأهم فى التأويل، ويبين التأويل الصحيح، والتفسير الحق.

وهو ينقل أيضا عن المفسرين وإن كان لا يسميهم ولا يذكر مرجعا، وإذا اختلفوا نظر فى الأمر بغاية الدراية والاجتهاد وعمق التفكير. ويوسع القارىء لكتابه أن يدرك بسهولة وسرعه أن مرجع القصاب فيه هو خاصة نفسه الشريفة المملئة بأدوات الاجتهاد من بعد القرآن نفسه وسنة من جاءنا به ﷺ وأقوال صحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان.

والآن نذكر معنى «نكتة» ونبين سر التسمية، فنقول:

النكتة: مما جاء فى لسان العرب: «ونكت فى العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان: أشار. ومنه قول بعض العلماء فى قول أبى الحسن الأخفش: قد نكت فيه بخلاف الخليل»[1].

(١) لسان العرب وأساس البلاغة والمعجم الوسيط مادة نكت

ومما فى أساس البلاغة: «ومن المجاز: جاء بنكته وبنكت فى كلامه، وقد نكت فى قوله، ورجل منكت ونكات»[1].

ومن معانى النكتة فى المعجم الوسيط: «الفكرة اللطيفة المؤثرة فى النفس. والمسألة العليه الدقيقه يتوصل إليها بدقه وإمعان فكر»[2].

وقال الجرجانى وغيره: «النكته هى مسألة لطيفه أخرجت بدقه نظر وإمعان فكر، من نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها. وسميت المسألة الدقيقه نكته لتأثير الخواطر فى استنباطها»[3]، (أو لتأثيرها فى النفس، أو لحصولها بحالة فكريه شبيهه بالنكت، أو لأنها مقارنة للنكت غالبا، من نكت فى الأرض إذا ضرب فأثر فيها بقضيب. ويقال لها اللطيفه إذا كان تأثيرها فى النفس بحيث يورث نوعا من الإنبساط)[4]. وقال التهانوى: «النكته: الدقيقه»[5].

* وفى ضوء هذا نقول إن نكت القرآن هى دقائقه ومسائله وعلومه أى إفاداته التى يتوصل إليها المفسر بحدة فكره وثاقب نظره، موافقا غيره أو مخالفا له، وهذا هو ما فعله القصاب فى هذا الكتاب.

* والإضافه فى (نكت القرآن) بمعنى (فى) فإنها معلومات دقيقه مودعه أشار إليها القرآن، أو بمعنى (من) فإنها بعض معانى القرآن التى تدق على الأذهان، ولا يدعى أحد أنه يبرز كل معانى كتاب الله تعالى ظاهرة ومستترة وشديدة الخفاء.

(٢،١) لسان العرب وأساس البلاغه والمعجم الوسيط مادة نكت
(٣) التعريفات للجرجانى ١٧٩
(٤) راجع متممات تعريفات بهامش السابق
(٥) انظر كشاف اصطلاحات الفنون ج ٦ مادة نكت

منهج نكت القرآن : قد ألمعنا إلى نقاط تعد من نقاط — أو عناصر — منهج القصاب فى هذا الكتاب حين تحدثنا عن عقيدته وفقهه واجتهاده ومحتويات كتابه المذكور ، وهنا نورد نكتا منه نصا أو إشارة تدلنا على نقاط مفصلة نوعا ما وتؤكد بعض النقاط وقد تشتمل على بعض من النقاط لم تسبق إشارتنا إليه ، فنقول وبالله التوفيق :

تفسير القرآن بالقرآن ، مع الاحتكام إلى اللغه فى مادة (حصد) وزكاة جميع ما يخرج من الأرض :

قال تعالى : «وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) [الأنعام / ١٤١] : قال القصاب :

« حجة فى إيجاب العشر على الثمر قوتا كان أو غيره لدخول الزيتون والرمان تحت أداء الحق يوم الحصاد بالتسميه ، وسائر الثمار فى الجنات فى الجملة . والهاء فى (أكله) وثمره (حقه) راجعه — والله أعلم — على جنس المذكورات كلها ، والجنس مذكر وموحد . فإن قيل : كيف يشتمل أداء الحق على ما ذكر فى الآية ، ولا يكون مقصودا به الزرع وحده لذكر الحصاد ، والحصاد واقع عليه دون سائره ؟ قيل : هو عند العامه كذلك ، فأما العرب التى نزل القرآن بلغتها فإنهم يوقعون اسم الحصاد على الزرع وغيره ، إذ الحصاد عندها « قطع الشىء واستئصاله » ، قال الله تبارك وتعالى مخبرا عن أهل القرية الظالمه : (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين) [سورة الأنبياء / ١٥] أى مستأصلين بالعذاب والموت ، والله أعلم ، ثم ذكر ان ما ورد فيه تحديد نصاب فهو كذلك ، وما لا تحديد فيه فالقرآن يوجب على جملته لم يسقط الوجوب بترك تسميه الحد ، فعلى ما حصد من قليله وكثيره العشر بجملة الكتاب .

والحديث يقول : (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا[١] العشر وما سقى بالنواضح والسوانى[٢] والغرب[٣] فنصف العشر)[٤] . فكأنه يضم إطلاق الحديث إلى الآية فلا يخص من ذلك زيتونا ولا ... إلخ .

الاعتماد على التفسير المروى . التحرز لا ينافى التوكل : قال الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به) كتب القصاب هذا القدر من الآية الستين من سورة الأنفال ، بعد أن وضع عنوانا هو (فى الجهاد) وقال عن القوة : « وهى فى التفسير : الرمى » ، وهذا التفسير هو ما أخرجه مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ألا وإن القوة الرمى ، ألا وإن القوة الرمى)[٥] .

وقال القصاب قبل هذا فى هذا الموضع عقب الآية مباشرة : « دليل على أن التحرز وإعمال الواسطات غير مؤثرة فى توكل المؤمنين ، ألا تراه أنه جل جلاله قد قال فى هذه السورة بعينها : (وما النصر إلا من عند الله)

---

(١) العثرى من النخل يشرب بعروقه من ماء المطر إذا اجتمع فى حفيرة . انظر النهاية لابن الأثير مادة (عثر) .

(٢) السوانى جمع سانية ، وهى الناقة التى يستقى عليها . انظر السابق مادة (سنى) .

(٣) الغرب بسكون الراء : الدلو العظيمة التى تتخذ من جلد ثور . انظر السابق مادة (غرب) .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ٥٥ ، ومسلم كذلك ٧ ، والترمذى كذلك ١٤ ، وقال حديث حسن صحيح ، وغيرهم بألفاظ مختلفة .

(٥) انظر خاتمة الإتقان للسيوطى مثلا .

[الآية ١٠] سوره الانفال، وقال: (ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت) [نفس السورة الآية ١٩]، ثم أمر بإعداد القوة ... » .

فنجده التزم بالمروى، ووقف عنده لم يتجاوزه، لأنه المرفوع، ولم يعرج على زيادة جاءت فى قول ابن عباس: (القوة هاهنا السلاح والقسى)[1]، فإن السلاح إذا كان سيفا لا يسمى رميا، وجاء تفسير القوة عن عكرمة بالحصون والمعاقل، وأيضا ذكور الخيل. فكان بوسع القصاب أن يتوسع مستثمرا ماجاء فى التفسير عن غير النبى ﷺ مضموما إلى المرفوع ومؤخرا عنه، ولكنه كما قلنا وقف عند ذلك الحد. ومن شاء قال كما قال الآلوسى إن القوة هى كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان، والظاهر العموم، إلا أنه عليه الصلاة والسلام خص الرمى بالذكر لأنه أقوى ما يتقوى به فهو من قبيل قوله ﷺ: (الحج عرفه)[2].

من مبهمات القرآن: اشتغل القصاب ببيان ذلك، ومعلوم أنه نقل محض. والمثال الذى سنذكره لم يحفل بأن يرويه مسنداً، وهى عادة غالبة عند المفسرين.

قال تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) [الأنعام ١٢٢]: «وروى فى التفسير أن الآية نزلت فى عمار وأبى جهل، فالمحيا بالإسلام عمار، والمتروك فى الظلمات أبو جهل». ونلحظ أنه قال هنا (وروى فى التفسير)، أما القوة فقال (وهى فى التفسير)، ولعل ذلك لما بينهما من فرق، ففى تفسير القوة الرواية مرفوعة، أما هنا فعن عكرمة، فهى مقطوعة، فضلا عن أن هناك

(١) انظر القرطبى فى الآية.
(٢) انظر روح المعانى فى تفسير الآية.

روايات أخرى يبدو من الآلوسى أنها أحسن، فيها بدلا من عمار عمر بن الخطاب عن ابن عباس وزيد بن أسلم، وفى رواية عن ابن عباس أنه حمزة، وإذا كان القصاب اقتصر على قول فهو بعض من كل ولا يلزم المفسر أن يذكر جميع الأقوال، وقد ذكر القاضى ثناء الله فى التفسير المظهرى فى هذه الآية أن الثلاثة أسلموا فى زمان متقارب ونزلت الآية فيمكن أن تعمهم، كما أن الآلوسى قال ما هو معلوم من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

أسباب النزول: تعرض لها، ونكتفى بالمثال الآنف، (وفيه أخذ بقول تابعى).

المبالغة القرآنية والاستشهاد لها بالشعر: قال القصاب فى المثال السابق): «سمى الكافر ميتا، وفيه روح، ثم قال: (فأحييناه) أى بالإسلام، فأقام الحياة والموت مقام الإسلام والكفر حين أراد — وهو أعلم — المبالغة، وهذا سائر فى لغة العرب، قال الشاعر:

(ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء)[1]»[2]

المبالغة ليست كذبا:

المبالغة المذكورة فى علوم البلاغة ليست كذبا ولا إثما، وقد قرر القصاب ذلك فقال فى الآيتين الكريمتين: (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) إلى قوله: (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) [البقرة ١٧ — ١٨]: «... حجة أولا فى ضرب الأمثال... وحجة فى أن من أراد المبالغة فى

(١) البيت لعدى بن الرعلاء كما فى لسان العرب مادة (مات).
(٢) هذا وأمثاله من نكت القرآن بلفظه أو بمعناه أحيل فيه على الآية برقمها وسورتها فى الحاشية إن لم تكن مذكورة فى صلب البحث.

ذم شيء أو مدحه جاز له الإفراط فيه ، ولا يكون كاذبا ولا آثما لإحاطة العلم بأن من وصفه — جل وعلا — فى هذه الآية بالصمم والبكم والعمى كان له سمع يسمع به ولسان ينطق به وعين يبصر بها ، ولكنه لما لم يصغ إلى مواعظ الله واستكبر عن النطق بشهادة الحق من التوحيد وتنكب طرق الهداية وصفه بكل ذلك ، إذ زال عنه حقيقة الإنتفاع بما أريد منه » .

من كلامه فى النسخ ومناقشته للأقوال : قال تعالى : (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) [النساء — ٨] .

قال : « كان سعيد بن المسيب يعده منسوخا بآى المواريث ، وكان ابن عباس يذهب به أنه حث للميت[1] على الوصية لهم ، وكان الحسن ومجاهد يجعلونها محكمة » وعقب على ذلك بدون فاصل فقال :

« فأما قول ابن عباس فلا أدرى ما وجهه ، وقد ذكر الله القسمة . والقسمة تكون بعد الموت ، اللهم إلا أن يكون فيهم من كان يقسم ماله عند الموت على فرائض الله ، فأمر أن لا يستفرغ ماله فى القسمة ويوصى لهم » ويصل إلى أقصى النقد فيقول على الأثر : وكيف يمكن القسمة عند الموت وفى الناس من تكون زوجته حبلى وهو لا يدرى ما فى بطنها ، وانتقد قول سعيد أيضا فقال :

« وأما قول سعيد فإن كانت آى المواريث أيضا نسخته فلم تنسخ إلا رزق من يرث من ذى القربى ، فما بال من ليس لهم وارثا واليتامى والمساكين يحرمون من أجلهم ؟! » .

(١) أى من شارف الموت ، كما يفهم من مناقشته الآتية ، فأما من مات فعلا فسينقضه بوضوح من باب أولى .

ثم قال مؤيدا لما يقنعه من الأقوال : « ولا أحسب القول إلا ما قال مجاهد والحسن لأن ظاهر الآية يوجب إعطاءهم إذا حضروا ، فيعطى اليتامى والمساكين ومن ليس بوارث من الأقربين ما طابت به أنفسهم قل أو كثر ، لأنه جل وتعالى لم يحد فيه حدا ، والمخاطب بإعطاء هذا : الوارثون وأولياؤهم ، فمحال أن يعطوا أنفسهم شيئا جعله الله فى أموالهم لغيرهم » . وواضح أنه كلام متين ، لا يحتاج منا إلى تعليق .

فى النحو واللغة : كل : يخبر بها عن المفرد والجمع ، قال فى قوله تعالى : (كل له قانتون) [البقرة ١١٦] : « دليل على أن (كلا) يخبر بها عن الجميع وعن الواحد ، فأما الجميع ها هنا فعلى المعنى ، وأما التوحيد فعلى اللفظ والجنس ، قال الله جل وعلا فى سورة بنى إسرائيل : (قل كل يعمل على شاكلته) ، فوحّد (يعمل) » .

تغليب المؤنث على المذكر [عكس المشهور لكنه موجود] : قال : « وقوله : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) [البقرة الآية ٢٣٤] دليل من جهة الاعراب أن الليالى غلبت على الأيام فى العدة ، لقوله : (وعشرا) ولم يقل (وعشرة) ولا نعلم المؤنث غالبا على المذكر فى شيء من الأمكنة إلا الليالى على الأيام » .

الخلة : الخلة بفتح الخاء بمعنى وبضمها بمعنى ، والإحتكام إلى المشهور السارى فى اللغة لتصحيح التفسير ، والرد على من أخذ بغير السائر فيها وفسر به — فى هذا كله يقول :

« رد على الجهمية : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) [النساء — ١٢٥] حجة على الجهمية ، وبلغنى أنهم يجعلون (الخليل) فهذا الموضع (الفقير)

كأنه اتخذه فقيرا إليه، يذهبون به إلى (الخلة) بفتح الخاء فرارا مما يقع فى (الخلة) بضمها ويحتجون ببيت لزهير بن أبى سلمى :

وإن أتاح خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالى ولا حرم[1]

والخليل وإن كانت العرب تسمى به الفقير فهى لا تأبى من تسميه (الصديق) به، بل تسميتها (الصديق) به أكثر، وعلى ألسنتها أسير ولو كانت تسمية (الفقير) به أشهر عندها من تسمية (الصديق) به لكان إعدادهم إياه ها هنا فقيرا من الإفراط فى الجهل، والنقيصة فى العقل، إذ هو موضوع موضع الفضيلة لإبراهيم صلى الله عليه. وكيف يمدح إبراهيم بشىء يشاركه فيه جميع الناس قبله وبعده، كافرهم ومسلمهم؟ بل يشاركه فيه جميع الروحانيين من البهائم والحشرات وسائر الخلق من الجن والشياطين إذ لا نعلم أحدا من هؤلاء إلا فقيرا إلى الله. وهل أتى على إبراهيم وقت لم يكن فيه فقيرا إلى الله قبل النبوة وبعدها ثم اتخذه فقيرا إليه؟!. وهل خص الله إبراهيم وحده بالفقر إليه من بين سائر العالم حتى يذهب بتأويل الخليل إليه!. وهل كان قبل اتخاذه إياه فقيرا إليه غنيا عنه؟!. أو يجوز أن يكون أحد من الملائكة وحملة العرش والأنبياء والمرسلين غنيا عن الله فى شىء من الأحوال؟!. ولا أعلم المساكين يفزعون إلى اللغة فى وقت إلا غاطوا طريقها وجاؤا بأفظع مما يفرون منه. وبيت زهير يمدح به هرم بن سنان[2] قد يجوز أن يكون لهرم خليل يحبه فيسأله فى حملات

(١) نسب البيت لزهير فى لسان العرب مادة (خلل).
(٢) هو من أجواد العرب فى الجاهلية، يضرب به المثل، انظر الأعلام للزركلى ٧٧/٩

وديات وحوائج، يتوسلون به إلى هرم فلا يرده عنها، فيكون (الخليل) فى بيت زهير أيضا (صديقا)، وإن كان غير ضار كينونته (فقيرا).

هذا — وغيره مما سبق، وسائر ماعنده — ينم عن دراية كاملة، وتصدر فى الجمع بين المنقول الصحيح والمعقول الصريح فى ذات هذا الإمام.

من درايته الإسنادية: انتقد الرواية ابن عباس رضى الله عنهما أن (كرسيه) هو علمه سبحانه وتعالى، فقال: «هذا حديث فيه وهن إما من مطرف وإما من جعفر ابن أبى المغيرة» وصحح ما ذكره باسناده إلى ابن عباس قال: «الكرسى موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره أحد» ثم اشتغل بالنظر تأييدا للمعنى الذى صححه وكذا بالتحاكم إلى اللغة ووجوب التحفظ من الخطأ فى إدراك الأصل الاشتقاقى الذى إذا اختلف ترتب على ذلك اختلاف المعنى وخطأ من لم يفرق[1].

وبمراجعتى لتفسيرى ابن كثير والقرطبى تبين لى أن القصاب أصاب فى ترجيح بل تصحيح التفسير للكرسى بغير العلم وأنه مخلوق — أما العلم الإلهى فليس بمخلوق، تصحيحا من حيث الرواية ومن حيث المعنى، وقد زاد القصاب بما بينه من حيث اللغة فى رده على من استدل ببيت من الشعر على أن الكرسى هو العلم.

التسليم للغة: اللغة أصل من أصول التفسير عند العلماء كالقصاب، كما تبين لنا أكثر من مرة. وآنفا، وإليك جملة قالها فى تفسير (الكرسى) بعد أن بين أنه ليس مأخوذا من (كرسا) قال: «واللغة لسان مسلم له، لا يدرك بالنظر والمقاييس»[2].

(١) انظره فى تفسير الآية ٢٥٥ سورة البقرة.
(٢) قاله عند الآية ٢٥٥ سورة البقرة

البلاغة : قد جال القصاب فى مسائل البلاغة ، واستخدم قواعدها فى دعم ما يقوله وفى الرد على من يخالفه . وقد سبق أمران هما مما يذكر فى علوم البلاغة ، وهما (المبالغة) و (التغليب) . ونذكر هنا أن القصاب أشار إلى قوم ينكرون التوكيد فى لغة العرب ، وأثبته محتجا مرارا ، ومن ذلك ما يوجد فى كلامه على الآية الكريمة : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) [البقرة ٤٣] ، إذ ذكرها تحت عنوان : « تكرير فى كلام العرب » ثم قال : « رد على من يزعم أن العرب ليس فى كلامها تكرير ولا تأكيد ، وأن كل لفظة لها تقتضى معنى مفردا — وأراه تبارك وتعالى قد ذكر الركوع على الانفراد ، وهو لا محالة داخل فى الصلاة » .

الاختصار : بين القصاب كثيرا من الاختصارات القرآنية ، ومن ذلك أنه بخصوص الآية الكريمة : (ولا تقربا هذه الشجرة) [البقرة ٣٥] كتب لها عنوان : « اختصار الكلام » ثم قال : «حجة فى اختصار الكلام، وإشارة إلى المعنى ، لإحاطة العلم بأنهما لم ينهيا عن الدنو منها ، إنما نهيا عن أكلها ، فلما لم يوصل إلى الأكل إلا بالاقتراب منها استغنى — والله أعلم — به من ذكر الأكل » .

أصول فقهية : يقرر القصاب الأصول الفقهية ، ويستثمرها فى إحقاق ما يحق وإبطال أو تضعيف ما يبطل أو يضعف . ومن ذلك :

الخصوص والعموم : فقد كتب عنوان : « خصوص فى عموم » ثم الآية الكريمة : (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) [البقرة ١٣] ثم قال ، « إثبات لإجازة الخصوص فى ذكر العموم ، لإحاطة العلم بأن جميع الناس لم يؤمنوا ، إذ أكثر من فى عصر رسول الله ﷺ والمخاطبون بهذه الآية ناس فى اللغة — غير داخلين تحت الإيمان فى الآية » .

التأويل : « هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح »[١] ، وهو لا يجوز إلا بدليل[٢] . وقد تعرض القصاب لهذا فقال : « دللنا ... فى غير موضع من كتابنا ... أن الكلمة إذا كان لها ظاهر معروف ، وباطن محتمل ، لم يجز أن تزال عن ظاهرها المعروف إلى باطنها المحتمل إلا بإجماع الأمة ، أو بنص آية ، أو سنة »[٣] . وبعض ذلك سبق له فى قوله : « ما جاز ترك ما يقتضية ظاهر اللفظ من كلام الله عز وجل بقول البشر إذا لم يتفقوا عليه »[٤] .

شرع من قبلنا أسوة لنا : كتب القصاب قول الله تعالى : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) [النساء : ٢٦] ثم قال : « دليل على أن لنا أسوة بمن مضى فى جميع الشرائع والأحكام إلا ما دل عليه كتاب أو سنة أو إجماع من نسخه عنا وتبديله بغيره لنا » .

القياس : جعل القصاب من كثير من الآيات دليلا نافيا للقياس قطعا ، ومن ذلك ما أفاض فيه تحت الآية الكريمة : (قد خسر الذين قتلوا أولادهم بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) [الأنعام — ١٤٠] أقتطف منه باللفظ وبالتصرف ما يلى فى تحريم الربا فى صنف زائد على الأصناف الستة الواردة فى الحديث[٥] ، كالعدس مثلا : حجة على القائسين ، يقال لهم : أرأيتم

---

(١) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للشيخ زكريا الأنصارى ص ٨٠ .

(٢) انظر فى (المؤول) غاية الوصول مثلا للشيخ السابق .

(٣) سورة البقرة / ٢٥٥ .

(٤) سورة البقرة / ١٠ .

(٥) الحديث هو : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد =

تحريمكم على الآكل من عدس أخذه بعدس متفاضلا من أجل أنه استفاد بفعل محرم عندكم ... من جملة المحرمات » مع أنه رزق حسن مفصل كما قال تعالى :(وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه)[1] ، « وأنتم قائلون بالحلل ، ألا جعلتم بعض قياسكم فى ترك الاقتداء بمن أخر الإناث من أهل هذه الآية فى أكل مارزقه الله الجميع » [أخر الإناث] « وقدم الذكور » (كما أخبر الله تعالى فى قوله : (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) [الأنعام ١٣٩] ، « فعابهم الله بذلك ونسبهم إلى الافتراء عليه ، فكنتم تقولون: لا يجوز طرد العلل وإن اتفقت حتى يكون معها تعبد يؤيدها » إذ لو جاز طردها فى كل موضع لجاز لهؤلاء المفترين على الله أن يقولوا : إنما [أخرنا] الإناث بتحريم هذا الرزق عليهن لأنا رأيناك أخرت الإناث فى أمكنة لم تؤخر فيها الذكور مثل الجهاد والقضاء والإمارة ، ورأيناك أسقطت إناث ولد الأخ والبنات، دون ذكورهم فى الميراث ، فاقتدينا بك فى تحريم مافى بطون أنعامنا على إناثنا » (فلو جاز طرد العلة لجاز لهم هذا القول ولم يكن زيادة افتراء على الله جل جلاله) ، (وكيف هذا وهو جل جلاله : « محلل الأشياء ومحرمها كيف يشاء على عباده ، ليس للعباد أن يفعلوا مثل فعله ، بل ينزلوا عند أمره ونهيه ، مقتصرين على ماحرم عليهم ، غير زائدين فيه من تلقاء أنفسهم بما يتصور عندهم من التشبيهات التى فارقتها العبادات المحرمات » .

ورغم البراعة الكبيرة التى ظهرت منه بعد ذلك فى هذا المقام الذى

= فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ ...) انظر سبل السلام للصنعانى ٣/٣٧ .

(١) سورة الأنعام / ١١٩

اقتصرت فيه على القليل أقول إن بعضه لا يسلم من مناقشة المخالفين — وهم على الأقل أصحاب المذاهب الأربعة — كما أن القصاب نفسه حكم بحكم فى شىء بطريقة هى عندنا من القياس ، فالموضوع يحتاج إلى دراسة واسعة ، فلعل من أنواع القياس ماأجازه القصاب دون أن يسميه قياسا ، واعتبره أمرا آخر ثابتا قويا ، ومن ذلك ما كتبه تحت الآية [١٨٤ سورة البقرة] وهى « (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) قال : « دليل على أن المريض يلحقه من رخصة الجمع بين صلاتين ما يلحق المسافر ، لأن الله تعالى قد جمع بينهما فى رخصة الإفطار » ، فإنى فهمت من اختلاف الفقهاء فى هذه المسألة ومن شرح ابن رشد لسبب اختلافهم أن هناك قياسا وعلة مطردة أو غير مطردة ، قال : « والسبب فى اختلافهم هو الاختلاف فى تعدى علة الجمع فى السفر :أعنى المشقة ، فمن طرد العلة رأى أن هذا من باب الأولى والأحرى ، وذلك أن المشقة على المريض فى إفراد الصلوات أشد منها على المسافر . ومن لم يعد هذه العلة وجعلها — كما يقولون — قاصرة : أى خاصة بذلك الحكم دون غيره لم يجز ذلك »[1]. هذا فضلا عن أننا إذا قلنا إن (العلة فى الأصل هى السفر فهى غير موجودة فى المريض المقيم أو الحاضر غير المسافر ، إذا قلنا ذلك فلن نستطيع تعديتها وإلا لزم فى الفرع (المريض) أن يجوز له القصر أيضا[2]، ولا قائل بهذا .

بقيت نقطة مما أردت فى بيان منهج القصاب فى التفسير ، وهى النقطة الرئيسة ، وهى مناقشة المخالفين ، والرد عليهم . ولما كان معظم كتابه فى هذا فإنى سأقتصر على النزر منه وأختصر فأقول :

(١) بداية المجتهد ١/٢١٣ .

(٢) استفدت من سبل السلام — وراجعه — ج ٢/٤٣ .

الرد على الصوفية المعتزلة المتنطعين : كتب القصاب عنوان : « فى الرد على الصوفية » والآية الكريمه : (فلا تشمت بى الأعداء) [الأعراف / ١٥٠]

ثم قال : دليل على أن الشغل بالأعداء ليس بمؤثر فى نسك الناسكين ودرجات المقربين ، لأن هارون نبى وقد اشتغل بما لو وصل إليه من شماتة الأعداء لم يحط من درجته عند الله ، ولا يزوال الشماتة كان يزداد قربة .

وروى عن نبينا ﷺ أنه « كان يتعوذ بالله من شماتة الاعداء »[1] ، فلم يؤثر فى درجه القربة ، كما يزعم المتنطعون من المتصوفه المعتزلة » .

وكأنى بالصوفيه فى نظره قسمان ، قسم ناسك فاهم مقبول لديه ، وقسم متنطع مردود عليه فيما تنطع ، فأما هذا القسم فقد ظهر هنا واضحا ، وأما مايقبله فقد عرفنا أن سمنونا صحبه ، فقد تلازما إذن ، وأحب كل منهما الآخر ، ولدينا دليل آخر ، وهو عنده تحت عنوان : « حجه للمتنسكين » قال :

« قوله إخبارا عن امرأة عمران : (رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا) [آل عمران / ٣٥] حجه للمتنسكين فيما يقولون : « فلان فى رق الدنيا » ، و « فلان عبد شهوته » ، « ترك الشهوات فصار حرا » .

ولا يكون شيء من ذلك كذبا وعلى الاثر افترض اعتراضا وأجاب عنه وأكمل البيان فقال :

يقال : « كيف يصير حرا من لم يزل حرا ؟ » ، و « كيف يكون للدنيا رق على الأحرار ؟ » [الجواب وإكمال البيان] : ألا ترى أن جنينها كان

(١) انظر البخارى فى كتاب القدر — ١٣ — وغيره .

حرا ، فنذرت أن تحرره أى لا تشغله عن العبادة بشيء ، فأخبر الله عنها بما قالت ، وتقبل منها نذرها » .

ومعلوم أن هذا من كلام الصوفيه ، أو الناسكين ، والمتنسكين ، كما قال القصاب — رضى الله عنه — وقد ارتضاه واستدل عليه بالآية كما وضح .

من الرد على المعتزلة ثم الخوارج : تحت الآية الكريمة : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .
[سورة النساء — ١١٦]

قال : « رد على المعتزلة فى باب الوعيد ، وعلى الشراة[1] ، فى باب الذنوب .

فأما الرد على المعتزلة فإنهم يزعمون أن من مات على ذنوبه غير تائب منها فهو مخلد فى النار .

وقد أخبر الله فى هذه الآية أن فى المحتقبين ذنوبا[2] ، ماتوا عليها من غير توبة من يغفر له ولم يوئس من الغفران إلا الكفار الذين يموتون بكفرهم .

فأما من مات على الكفر ، أواستغفر من الذنوب من الموحدين فليس يداخل فى هذه الآية ، إذ يقول تبارك وتعالى فى الكفار : (قل للذين

(١) الشراة بضم الشين جمع شار ، قال فى لسان العرب : « والشراة : الخوارج ، سموا بذلك لأنهم غضبوا ولجوا ، وأما هم فقالوا : نحن الشراة لقوله عزوجل : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) أى يبيعها ويبذلها فى الجهاد ، وثمنها الجنة » الخ .

(٢) احتقبوا ذنوبا أى ارتكبوها .
انظر المعجم الوسيط مادة (حقب) .

وكانت حجته على عباده واضحة بكتابه ، ويعولون عليه ، ويدعون من خالفهم إليه ، متبعين فيه قوله تبارك وتعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[١] .

وهل يحسن بذي حجى أن يعين عقله في اتباع يجهل عدله ولا يفحص عن دينه بروية نظره ، ويأتي الأمر من أقصد أبوابه ، فيعلم أن مالم يكشف عنه القرآن الذي جعله الله لكل شيء تبيانا لم يكشف عنه سواه . وهل كل من زخرف من المبتدعين كلاما ، وعد فيما ألفه من البدعة إماما إلا بشر مثله . فما باله يعول عليه ويتهم نفسه في خلاف سبقه إليه »[٢] .

وقال في موضع آخر : « ولولا أن هذا الكتاب مقتصر على الكتب ، غير مقصود به الإتيان على نهاية التلخيص لشرحناه[٣] ، بأكثر من هذا الشرح ، وذكرنا جميع الآيات الدالة على تسمية العمل إيماناً ، وسنلوح منها على تأليف السور في أماكنها جملة يستغني بها الغائص على النكت عن إطالة شرحنا في كتابنا المجرد فيه ، إن شاء الله »[٤] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣

(٢) الورقة الأولى (ب) من نكت القرآن [صورة من نسخة مكتبة مراد ملا بتركيا] .

(٣) يعني موضوع الإيمان أنه أجزاء خلافا لمن تصوروه في صورة جزء واحد ، انظره عند الآية ١٣ سورة البقرة .

(٤) قاله عند الآية السابق .

الخاتمة

— الكرجي : بالجيم هو الصواب الثابت على النسخة الوحيدة من مخطوطة كتاب « نكت القرآن » ، وكما هو في بعض المراجع السابقة كسير أعلام النبلاء ، خلافا لمن جعله بالخاء ، كصاحب معجم المؤلفين ، وكالدكتور صبحي الصالح في كتابه « مباحث في علوم القرآن » .

— وكتاب « نكت القرآن » قد عرفنا موضوعة ، خلافا لما قاله الدكتور صبحي الصالح من أنه كتاب في علوم القرآن ، ولعله استنبط ذلك من فقرة ناقصة أخذها بعضهم من النسخة الوحيدة ، أو غير ذلك .

— وكتاب « نكت القرآن » ثروة كلامية وفقهية وتفسيرية ، وموسوعة علمية — في حدود النكت — وهو بهذا جدير بأن تقوم عليه دراسات مقارنة من مختلف النوحى .

وكتب القصاب الأخرى لا نعرف لها وجودا ، وقد ذكرت المراجع ما ذكرت — وكذا القصاب — من أسامي تلك الكتب مايلي :

أولا : ما أحال عليه القصاب :

— شرح النصوص .

— الرد على أهل الأهواء والأخبار .

— الرد على المبتدعين .

— الرد على الباهلي وابن أبي يعقوب وابن حرمان .

— الرد على المخالفين .

— الطهارة :

ـ وصف الإيمان وشرح زيادته ونقصانه .

ثانيا : مافى كتب التراجم والطبقات والمعاجم :

ـ ثواب الأعمال .

ـ كتاب السنه [وقد سبق نص منه] .

ـ عقاب الأعمال .

ـ كتاب تأديب الأئمة .

وإذ قد انتهيت إلى ـ وعند ـ هذا الحد أدعو الله تعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله مفتاح خير لى ولمن قرأه .

والحمد لله رب العالمين .

أهم مراجع البحث

على ترتيب ورودها فيه

ـ سير أعلام النبلاء للذهبى ، بيروت ١٩٨٢ .

ـ اللباب فى تهذيب الأنساب للسمعانى ، دار الجنان ١٩٨٨ .

ـ طبقات الحفاظ للسيوطى ، القاهرة ١٩٧٣ .

ـ الخلاصة للخزرجى ـ تحقيق الشيخ محمود عبد الوهاب فايد، مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٧٢ .

ـ مراصد الاطلاع لصفى الدين البغدادى ـ تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط١ ـ ١٣٧٣ هـ .

ـ نيل السائرين فى طبقات المفسرين لمحمد طاهر ، المطبعة العربية ـ لاهور .

ـ نفحات الأنس للجامى ، دار التراث العربى .

ـ الكواكب الدرية للمناوى ، تحقيق وتقديم د . عبد الحميد صالح حمدان ، المكتبة الأزهرية للتراث .

ـ كشف المحجوب للهجويرى ، دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع .

ـ تذكرة الحفاظ للذهبى ، بيروت ١٩٥٦ .

ـ نكت القرآن للقصاب الكرجى ، مخطوطة مراد ملا تركيا .

ـ بداية المجتهد لابن رشد تحقيق وتصحيح د . محمد سالم محيسن ، د . شعبان محمد إسماعيل مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٢ .

— السلسبيل فى معرفة الدليل للبليهى ، مطبعة المعارف الرياض ط الرابعة معدلة ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م .

— أحكام القرآن لابن العربى ، راجع أصوله وخرج أحاديثة وعلق عليه محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلميه بيروت ط ١ ١٩٨٨ م .

— الأم للشافعى ، ط الشعب القاهرة :

— لسان العرب لابن منظور .

— أساس البلاغه للزمخشرى .

— المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

— التعريفات للجرجانى طبع استانبول وبهامشه متممات تعريفات .

— كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، خياط بيروت ١٨٦١ م .

— النهاية لابن الأثير .

— صحيح البخارى .

— صحيح مسلم .

— سنن الترمذى .

— الإتقان للسيوطى ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

— روح المعانى للآلوسى .

— الأعلام للزركلى ط ٢

الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للشيخ زكريا الأنصارى ، حقق النص وقدم له الدكتور مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م .

— سبل السلام للصنعانى ط ٤ ، الحلبى ١٩٦٠ م .

— تاريخ بغداد للخطيب .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ؟